الدرس السادس والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربِّ العالمين، وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّدًا عبده ورسوله ؛ صلَّى الله وسلَّم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين. أمَّا بعد:

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى في كتاب الكبائر :

بابٌ ما جاء في الفتن

وقول الله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ الآية [الأنفال: ٢٥] ، **وقوله: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا﴾ الآية** [الأنعام: ٦٥].

****

قال المصنِّف رحمه الله تعالى: «**بابٌ ما جاء في الفتن**» ؛ هذه التَّرجمة عقدها رحمه الله تعالى في التَّحذير من الفتن وبيان سوء مغبَّتها لمن استشرف لها، وأنَّها مهلكة للنَّاس وخطرها عظيمٌ عليهم ، جنَّبنا والمسلمين أينما كانوا الفتن ما ظهر منها وما بطن، وأعاذنا والمسلمين منها . وأنَّ الواجب على المسلم اتِّقاءَ الفتن لا الاستشراف لها، والاستعاذة بالله تبارك وتعالى منها؛ لأنَّ خطرها على النَّاس عظيم، وفيها هلاكٌ للنَّاس؛ لأنَّ الفتن إذا وقعت تعطَّلت المصالح الدِّينيَّة والدُّنيويَّة، وحصلت التَّعدِّيَّات، ووُجِدَ الظُّلم، ولم يأمن النَّاس لا على النَّفس ولا على المال ولا على العِرض، إلى غير ذلك من الأخطار العظيمة. ولهذا ينبغي على المسلم دائمًا أن يكون كثير الاستعاذة بالله تبارك وتعالى من الفتن. وشُرِعَ لنا دُبُرَ كلِّ صلاةٍ قبل أن نسلِّم أن نتعوَّذ بالله سبحانه وتعالى من الفتن عامَّة وخاصَّة.

قال رحمه الله : **وقول الله تعالى ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾** [الأنفال: ٢٥]؛ بدأ رحمه الله تعالى بهذه الآية الكريمة لأنَّ فيها تِبيانًا لخطورة الفتن العظيمة، وأنَّ الفتنة عندما تقع تكون مضرَّتها على النَّاس عظيمة، وشررُها ومضرَّتها تتناول الظَّالم وغيره، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾، بل تصيب الظَّالم وغيرَه فتُراق دماء يُهْلَك أُناس لكن يُبعثون على نيَّاتهم وعلى أعمالهم، أمَّا الفتنة فإنَّها تأكل – كما يُقال– الأخضر واليابس، الصَّالح والطَّالح، فخطرها على الأُمَّة خطرٌ عظيم.

قال: **وقوله تعالى ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا﴾** [الأنعام: ٦٥] ؛ وهذا موضع الشَّاهد من إيراد هذه الآية ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ﴾ .

﴿يَلْبِسَكُمْ﴾ أي: يخلطكم ؛ اللَّبس: هو الخلط. ﴿شِيَعًا﴾ أي: فِرَقًا. وهذه هي الفتن.

ثمّ يترتَّب على ذلك ما جاء بعده: ﴿وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ﴾ أي: القتل، ورفع السَّيف، وإراقة الدِّماء، وأن يكون بأس المسلمين بينهم. وهذا أمر يُتعوَّذ بالله سبحانه وتعالى منه، لا يُتصَدَّر له ويُسْتَشْرَف له، بل المسلم يتعوَّذ بالله تبارك وتعالى من ذلك.

وكان نبيُّنا عليه الصَّلاةُ والسَّلام لما نزلت هذه الآية يستعيذ بالله ؛ لما قرأ: ﴿أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ﴾ قال: ((أعوذ بوجه الله))، ﴿أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ قال: ((أعوذ بوجه الله))، فكان عليه الصَّلاةُ والسَّلام يستعيذ بالله تبارك وتعالى. والفتن يُستعاذ منها؛ والنَّبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم أمر بذلك قال: ((تعوَّذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن)).

قال رحمه الله تعالى :

١٧٧ – عن ابن عمرو رضي الله عنهما قال: كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر فنزلنا منزلاً، فمنا من يصلح خباءه، ومنا من ينتضل، ومنا من هو في جشره؛ إذ نادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الصلاة جامعة». فاجتمعنا إلى رسول الله فقال: ((إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقًا عليه أن يدلَّ أمته على خير ما يعلمه لهم ، وينذرهم شر ما يعلمه لهم، وإن أمتكم هذه جُعل عافيتها في أولها ، وسيصيب آخرها بلاء وأمورٌ تنكرونها. وتجيء الفتنة فيرقق بعضها بعضا وتجيء الفتنة فيقول المؤمن هذه مهلكتي، ثم تنكشف ، وتجيء الفتنة فيقول المؤمن هذه هذه، فمن أحبَّ أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر، ولْيأتِ للنَّاس الّذي يحبُّ أن يُؤْتى إليه. ومَن بايع إمامًا فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فلْيطعه إن استطاع، فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر)) رواه مسلم .

****

ثمّ أورد رحمه الله تعالى حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما وهو حديثٌ عظيم في بيان خطورة الفتن وبيان ما تُتَّقى به الفتن، فهو عظيم جدًّا في هذا الباب.

قال: «**كنَّا مع رسول اللَّه صلَّى اللَّه عليه وسلَّم في سفر، فنزل منزلاً، فمنَّا مَن يُصلِحُ خِباءه، ومنَّا مَن ينتضل، ومنَّا مَن هو في جَشَرِهِ**» ؛ هذا الّذي ذكره رضي الله عنه هو عادة النَّاس إذا نزلوا منزلاً، إذا نزلوا منزلاً عادتهم يتفرَّقون كلٌّ له نوع من المصالح يعمل لأجله.

«**فمنهم مَن يُصلِحُ خِباءه**» أي: يصلح مكانه ويهيِّئه للنَّوم وللرَّاحة.

«**ومنهم مَن ينتضل**» والانتضال من المناضلة والتَّرامي بالسِّهام، وهذا نوع من التَّدريب والتَّمرُّن على القتال.

«**ومنهم مَن هو في جَشَرِه**» أي: مع ماشيته يطلب لها المرعى المناسب الّذي ترعى منه وتبيت فيه.
وهذه عادة النَّاس إذا نزلوا منزلاً تجد كلّ واحد منهم في مصلحة معيَّنة أو في عمل معيَّن. مقصوده من ذلك أنَّنا نزلنا وكلّ واحدٍ منَّا تفرَّق أو ذهب إلى مصلحةٍ ما ، كلٌّ اشتغل بمصلحةٍ من المصالح.
«**إذ نادى منادٍ**» وهذا النِّداء احتيج إليه لهذا الأمر الّذي ذكره، وهو أنَّهم تفرَّقوا كلٌّ في جهة وكلٌّ في مصلحة معيَّنة.
«**إذ نادى منادي رسول اللَّه صلَّى اللَّه عليه وسلَّم الصَّلاةَ جامعة**» بنصب الصَّلاة على الإغراء والحثّ على المجيء والإقبال؛ «الصَّلاةَ جامعة».
((**فاجتمعنا إلى رسول اللَّه صلَّى اللَّه عليه وسلَّم فقال: إنَّه لم يكن نبيٌّ قبلي إلاّ كان حقًّا عليه أن يدلَّ أمَّته على خير ما يعلمه لهم، وينذرهم شرَّ ما يعلمه لهم**)) ؛ وهذه قاعدة مهمَّة في الإيمان بالنَّبيِّين أجمعين ؛ أنَّه ما من نبيّ بعثه اللَّه إلاّ وقد دلَّ أمَّته إلى كلِّ خير ، وحذَّرهم من كلِّ شرّ، ما من نبيٍّ بعثه اللَّه إلاّ بلَّغ البلاغ المبين، ونصح أُمَّته، وأدَّى الرِّسالة، وبلَّغ الأمانة، وأقام الحُجَّة، فكلُّ أنبياء اللَّه عزّ وجلّ قاموا بهذه المهمَّة أتمَّ قيام. ولهذا من العقيدة في الأنبياء –والعقيدة في الأنبياء أصل من أصول الإيمان وركن من أركانه– أن يعتقد أنَّ جميع الأنبياء بلَّغوا دين اللَّه أتمَّ بلاغ، ما تركوا خيرًا إلا دلُّوا أُممهم عليه، ولا شرًّا إلاّ حذَّروهم منه، كما قال نبيُّنا عليه الصَّلاةُ والسَّلام هنا: ((**إنَّه لم يكن نبيٌّ قبلي إلّا كان حقًّا عليه أن يدلَّ أمَّته على خير ما يعلمه لهم، وينذرهم شرَّ ما يعلمه لهم**))، فالأنبياء بلَّغوا البلاغ المبين، ما تركوا خيرًا إلاّ دلُّوا أممهم عليه ولا شرًّا إلاّ حذَّروهم منه.
قال: ((**وإنَّ أمَّتكم هذه**)) أي: أمَّةَ محمَّد عليه الصَّلاةُ والسَّلام الَّتي هي آخر الأُمم أُمم النَّبيِّين.
((**جُعِلَ عافيتُها في أوَّلها**)) والمراد بالعافية : السَّلامة من الفتن. وهذا فيه أنَّ السَّلامةَ من الفتن عافية، ومَن سلَّمه اللَّه من الفتن ووقاه فقد عافاه اللَّه. ومن أعظم الدُّعاء: «اللَّهمَّ إنِّي أسألك العافية»، وتعرفون قصَّة العبَّاس لما جاء للنبي عليه الصَّلاةُ والسَّلام قال: «يا رسول الله علِّمني دعاءً أدعو اللَّهَ به» قال: ((سَل اللَّهَ العافية)) ، كأنَّه تقالَّها؛ رجع إليه مرَّةً أخرى، وقال: «يا رسول اللَّه علِّمني دعاءً أدعو اللَّه به». قال: ((يا عبَّاس، يا عمَّ رسول اللَّه، سَل اللَّه العافية في الدُّنيا والآخرة)). فمَن أوتيَ العافية فقد سَلِم وغَنِم ورَبِح.
يقول عليه الصَّلاةُ والسَّلام: ((**وإنَّ أُمَّتكم هذه جُعِلَ عافيتها في أوَّلها**)) أي: أوَّل الأُمَّة في عافية؛ أي في سلامة من الفتن. والمراد بالفتن: أي الفتن الَّتي تنشب بين المسلمين عندما يختلط أمرهم وينشب بينهم القتال والتَّطاحن والتَّدابر ويكون بأسهم بينهم، هذا المراد بالفتن وهو المراد بقوله ((جُعِلَ عافيتها في أوَّلها)) أي السَّلامة من هذه الأُمور.
((**وإنَّ أُمَّتكم هذه جُعِلَ عافيتها في أوَّلها**)) ؛ والمراد بأوَّلها تحديدًا : أي زمن الخليفتين الرَّاشدين أبي بكر وعمر رضي اللَّه عنهما، وأنَّ قتل عمر –كما سيأتي معنا في حديثٍ لاحق يسوقه المصنِّف– كسرٌ لباب الفتنة، وأنَّ قتله

رضي الله عنه وأرضاه كسرٌ لهذا الباب؛ الأُمَّة في عافية إلى أن يُكْسَرَ الباب، والباب: قتل عمر رضي الله عنه. فالعافية كانت في أوَّل هذه الأُمَّة أُمَّةِ محمَّد عليه الصَّلاةُ والسَّلام في زمن الخليفتين الرَّاشدين أبي بكرٍ وعمر رضي الله عنهما.

قال: ((**وسيصيب آخرها بلاءٌ وأُمورٌ تنكرونها**)) أي بعد ذلك تبدأ الفتن وتظهر بذورها ثمّ تتزايد، تتزايد تزايُدًا عجيبًا جاء وصفه في هذا الحديث أنَّ الفتنة عندما تقع في النَّاس تكون عظيمة جدًّا، ثمّ يأتي بعدها ما هو أشدّ منها؛ فيرون تلك الَّتي كانت عظيمة هيِّنة في مقابل هذه الفتنة الأشدّ والفتنة الأعظم.

يقول: ((**وسيصيب آخرها بلاءٌ وأمورٌ تنكرونها وتجيء الفتنة فيرقِّق بعضها بعضًا**)) أي: أنَّ الفتنةَ العظيمة الَّتي تعقب فتنةً قبلها ترقِّق الفتنةَ الَّتي قبلها؛ فيراها النَّاس أنَّها ليست بشيء أمام هذه الفتنة الَّتي دهتهم.

((**وتجيء الفتنة فيقول المؤمن: هذه مُهْلَكتي**)) أي: من شدَّتها.

((**ثمّ تنكشف، وتجيء الفتنة، فيقول المؤمن: هذه هذه**))؛ أي: هذه أشدّ، الأولى دونها. وهذا أيضًا فيه توضيح لمعنى: «يرقِّق بعضها بعضًا». وهذا فيه أنَّ الفتن لا تزال يعقُب بعضها بعضًا، ويتْبع بعضها بعضًا، وأنَّ المسلم مطلوبٌ منه دائمًا اتِّقاء الفتن والحذر منها وعدم التَّصدُّر لها والاستشراف؛ لأنَّ الفتن مُهلِكة للإنسان، ومضرَّتها على الأُمَّة مضرَّة عظيمة، أوَّل ما تبدو للنَّاس يظنُّون فيها خيرًا لهم، ويندفعون وراءها وينساقون معها؛ لأنَّها تأتي كما جاء وصفها في النّصوص عمياء بكماء صمَّاء، وما كان شأنه كذلك يكون ملتبس على النَّاس، بكماء عمياء صمَّاء؛ ولهذا تجرف معها خلْق من النَّاس ينساقون في الفتن ويركضون وراءها، ثمّ إذا انتهت أدركوا أنَّهم كانوا على خطأ، لكن في غمرة الفتن لا يشعرون، تهيج النُّفوس، ومن هيجان النُّفوس في الفتن أنَّه حتى العبادات يُغْفَل عنها من كثرة اشتغال النُّفوس بالفتن إذا هاجت. أعاذنا الله عزّ وجلّ والمسلمين أجمعين من الفتن ما ظهر منها وما بطن.

النَّبيُّ عليه الصَّلاةُ والسَّلام ناصح لأُمَّته، ومن هديه عند الإخبار عليه الصَّلاة والسَّلام بالفتن بالشِّقاق الخلاف، بالأمور الَّتي ستقع للأُمَّة عند الإخبار بذلك يبيِّن في الوقت نفسه العلاج . انظر على سبيل المثال لما قال: ((إنَّه مَن يعِش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا))، هذا الآن أمر مُهْلِك وخطر على الأُمَّة. ما الحلّ؟ ما المخرج؟ أجاب النَّبيّ عليه الصَّلاةُ والسَّلام دون أن يُسأل، وهذا من كمال نصحه، ((إنَّه مَن يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا؛ فعليكم بسنَّتي)) هذا هو المخرج، ((وسنَّة الخلفاء الرّاشدين المهديِّين من بعدي، تمسَّكوا بها وعَضُّوا عليها بالنَّواجذ)).

وهنا لما ذكر صلوات الله وسلامه عليه الفتن وبيَّن خطورتها وأنَّها مُهلِكة للنَّاس، وأنَّ بعضها يتبع بعض، وبعضها أشدّ من بعض قال في الإرشاد عليه الصَّلاة والسَّلام إلى الخلاص والسَّلامة من الفتن : ((**فمَن أحبّ أن يُزحزح عن النَّار، ويُدخَلَ الجنَّة فلْتأتِهِ منيَّته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر ، ولْيأتِ للنَّاس الّذي يحبُّ أن يُؤْتى إليه. ومَن بايع إمامًا فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فلْيطعه إن استطاع، فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق**

الآخر))؛ هذا التَّوجيه الّذي خُتِمَ به هذا الحديث مرتبط بما قبله؛ لأنَّ ما قبله ذِكرٌ للفتن، وهذا ذكرٌ للمخرج من الفتن.

قال : ((**فمَن أحبَّ أن يُزحزح عن النَّار ويُدْخَلَ الجنَّة فلْتأْته منيَّته وهو يؤمن باللَّه واليوم الآخر**)) وهذا توجيه إلى حفظ الإيمان ، لأنَّ من شأن الفتن أنَّها تضيّع الإيمان، تضيّع على الإنسان دينه، تشغله بالفتن وجذبها للنُّفوس، وما يترتَّب عليها من شرور ومهلكة للنَّاس.

فيقول: ((**فلْتأته منيَّته**)) أي: أجَله ومفارقته لهذه الحياة ((**وهو يؤمن باللَّه واليوم الآخر**)) أي: أنَّ الإيمان باللَّه المقصود المعبود الملْتَجأ إليه المخصوص بالذُّلّ والعبادة، وكذلك الإيمان باليوم الآخر الّذي هو دار الجزاء والحساب والعقاب والوقوف بين يدي الله ، وانقسام النَّاس إلى فريقيْن: فريقٌ في الجنَّة وفريقٌ في السَّعير، ليكن ذلك أصل ثابت عند المؤمن لا يضيّعه ولا يفرِّط فيه، مهما حصل من أمور ومهما واجه من فتن يجب عليه أن يحفظ هذا الأصل العظيم والأساس المتين الذي لا نجاة له في الدُّنيا والآخرة إلاّ به.

وقوله: ((**فلْتأته منيَّته وهو يؤمن باللَّه واليوم الآخر**)) هذا فيه حفظ الإيمان باللَّه واليوم الآخر وما يقتضيه هذا الإيمان من خضوع وذلّ وطواعيَّة للَّه عزّ وجلّ وانقياد لأمره جلَّ في عُلاه.

قال: ((**ولْيأتِ للنَّاس الّذي يحبّ أن يُؤتى إليه**)) ؛ وهذه قاعدة ذكر العلماء رحمهم اللَّه تعالى أنَّها من أجمع القواعد في باب الأخلاق والتَّعامل مع النَّاس، بل لو أردتَ أن تعرِّف الخُلُق الجميل ما هو؟ لو قيل: ما هو الخُلُق الجميل؟ لوجدت أنَّ هذا الحديث يُعَدّ من أجمع وأجمل ما يكون في تعريف الخُلُق الجميل، أن تأتي للنَّاس الّذي تحب أن يُؤتى إليك؛ هذا هو الخُلُق الجميل، أن تعامل النَّاس بالمعاملة الَّتي تحبّ أن تُعامَل بها.

في ضوء هذا الحديث تفرّع عليه تفريعات عظيمة جدًا. يعني لو قال قائل مثلاً: ما هو برّ الوالدين؟ في ضوء هذا الحديث: إذا أراد شخص أن يبَرَّ والده يقدِّر نفسه هو الأب، ما الّذي يحبّ أن يعامل به لو كان أبًا؟ في كلّ موقف من المواقف ينظر ما الّذي يحبّ أن يُعامَل به لو كان هو الأبّ، فما يحبُّه لنفسه ليعامل به والده، هذا هو البرّ. وهذا قُل مثله في كلّ تعامل، مَن تريد أن تتعامل معه أيًّا كان قدِّر نفسك مكانه وانظر ما الّذي تحبّ أن تُعامَل به؟ هذه قاعدة جامعة وعظيمة جدًّا في باب الأخلاق. ومَن وُفِّق لتطبيق هذا الحديث فقد أوتي الخُلُق بجِماعه.

قال: ((**ولْيأت للنَّاس الّذي يحبّ أن يُؤتى إليه**)) ؛ وهذا المعنى ذكره النَّبيّ صلَّى اللَّه عليه وسلَّم هنا في باب التَّحذير من الفتن والمخرج منها، وهذا أيضًا باب مهم النَّاس يحتاجون إليه، كم يقع النَّاس في الفتن في مخالفات ومخالفات لهذا الحديث ((ولْيأت للنَّاس الّذي يحبّ أن يُؤتى إليه)) ، وما يقع في الفتن من مظالم، من تعديَّات، من انتهاك للأعراض، من لغط بالكلام، وتهكُّم وسخرية واستهزاء، هل مَن يقوم بهذه الأعمال يحبّ أن تُؤْتى إليه؟ هل يحبّ أن يُعامَل بها؟ لا واللَّه، فلو أنَّ هذا الحديث حضر في الأذهان، أو هذه القاعدة الجامعة في الخلق

حضرت في الأذهان عند الفتن لَسَلِمَ النَّاس، لكن منهم مَن ينطلق بلسانه، ومنهم مَن يُعْمِل يده، ومنهم مَن يفري في أعراض النَّاس، وهي أمورٌ لا يحبّ أن يُعامَل بها. قال: ((ولْيأتِ للنَّاس الّذي يحبّ أن يُؤتى إليه)).

ثمّ ذكر عليه الصَّلاة والسَّلام ما يتعلَّق بالإمام القائم الّذي له البيْعة: ((**ومَن بايع إمامًا فأعطاه صفقةَ يده**)) ؛ صفقة اليد: هو ضربة اليد على الأخرى، وهذه البيْعة ، بايعه فأعطاه صفقة يده وثمرة فؤاده. كلمة «بايعه» فيها هذا المعنى الّذي هو صفقة اليد وثمرة الفؤاد، لكن هذا تفصيل للإجمال. مثل الآن لو قلت مثلاً: "فلان من النَّاس صلَّى الظُّهر، قام وركع وسجد وسلَّم" ، قولك: ركع وسجد وسلَّم، هذا تفصيل. فـ ((بايع إمامًا فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه)) والتَّنصيص على صفقة اليد وثمرة القلب تأكيد على أنَّ البيعة وقعت، يعني بايعه.

((**فليطعه إن استطاع**)) وهذا فيه وجوب طاعة وُلاة الأمر ما لم يأمروا بمعصية الخالق، فيما هو مُستطاع للعبد أن يقوم به، تجب لهم الطَّاعة. ومرَّ معنا قول الله سبحانه : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النِّساء: ٥٩] ، أمَّا إن أمَر بمعصية فلا طاعة له؛ لأنَّه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

((**فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر**))؛ لماذا؟ لأنَّ دخول الآخر للمنازعة معنى ذلك وجود الفتنة وحصول الهرْج والمرج والقتال بين النَّاس واختلال الأمن، إلى غير ذلك من المفاسد العظيمة.

الشاهد: أنَّ هذه الكلمات العظيمة ذكرها النّبي عليه الصَّلاة والسَّلام تِبيانًا للمخرج من الفتن والسَّلامة منها.

قال رحمه الله تعالى :

١٧٨ – وله عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: ((بادروا بالأعمال فتنًا كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمنًا ويمسي كافرًا، ويمسي مؤمنًا ويصبح كافرًا، يبيع دينه بعَرَضٍ من الدنيا)).

****

قال: **وله** أي: مسلم رحمه الله تعالى **عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: ((بادروا بالأعمال فتنًا كقطع الليل المظلم))** ؛ بادروا بالأعمال: أي سارعوا في الأعمال الصّالحة بأنواعها، ما دام الإنسان يعيش في أمن، في رخاء، في عافية، في صحَّة، في سلامة من الفتن ليغنم هذه الفرصة في المبادرة للأعمال والمسارعة إليها. إذا كنتَ في وقت الأمن تستطيع أن تأتي إلى المسجد بطمأنينة ولا تخشى في طريقك شيء ، تستطيع أن تحضر حلقة العلم وتستمع، وتجلس على الشيخ وتقرأ وتحفظ وتسمّع، وتذهب إلى مَعْقِل العلم لتتعلَّم، تؤدّي أمورك ومصالحك الدِّينيَّة والدُّنيويَّة بارتياح هذه فرصة لك؛ لأنَّ الفتن إذا جاءت كثير من هذه الأمور لا يستطيع الإنسان أن يقوم بها ، ولْيعتبر الإنسان في الأماكن الَّتي فيها الفتن أو وُجِدَت فيها الفتن، كيف أصبحت هذه المصالح غير متيسِّر لكثير من

النَّاس القيام بها ، غير متهيّئ له. فالإنسان يحمد الله على العافية، ويحرص على اغتنام الفرصة، ويبادر الأعمال ويستكثر من الأعمال.

((**بادروا بالأعمال**)) أي: سارعوا واستكثروا منها ((**فتنًا كقطع اللَّيل المظلم**)) أي: قبل أن تقع . فتن وصفها النَّبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم كقطع اللَّيل المظلم. سبحان الله! إذا كان الإنسان يمشي في قطعة من اللَّيل مظلمة، هل يأمن العِثار؟ هل يأمن أن يقع في حفرة؟ هل يأمن أن يصطدم بشجرةٍ ذات شوك؟ هل يأمن سَبُعًا يهجم عليه؟ هل يأمن؟ قطع الليل مظلم يصبح الإنسان لا يأمن في مساره ولا يأمن في طريقه، إمَّا أن يسقط أو أن يصطدم أو يُهاجَم أو غير ذلك من أمور، فوصف عليه الصَّلاة والسَّلام الفتنة أنَّها بهذه الصِّفة ((كقطع اللَّيل المظلم))، لا يغترّ الإنسان بواقعه، الفتنة أمرها مختلف ؛ إذا وُجِدَت الفتنة فهي بهذه الصفة «كقطع اللَّيل المظلم».

انظر هذا الّذي كقطع اللَّيل المظلم كيف تتحوَّل فيه النُّفوس وتتقلَّب القلوب عياذًا بالله! ((**يصبح الرَّجل مؤمنًا ويمسي كافرًا، ويمسي مؤمنًا ويصبح كافرًا، يبيع دينه بعَرَضٍ من الدُّنيا**))، وهذا التَّقلُّب الّذي يقع في كثيرٍ من النَّاس عند نشوب الفتن ووجودها بسبب أنَّ مَن استشرف للفتن، ودخل في غِمارها أهلكته، وربَّما استرخص دينه وباعه بثمنٍ بخس من هذه الدُّنيا.

فالحديث فيه نصح من النَّبيّ عليه الصَّلاة والسَّلام لأمَّته بالمبادرة إلى الأعمال الصّالحة والطَّاعات الزّاكية المقرِّبة إلى الله عزّ وجلّ ؛ لتكون رِدْءًا للإنسان وحافظًا عند وقوع الفتن.

قال رحمه الله تعالى :

١٧٩ – وله عن معقل بن يسار رضي الله عنه مرفوعًا: ((العبادة في الهرج كهجرة إليّ)) .

****

قال: **وله** أي مسلم رحمه الله **عن معقِل بن يسار رضي الله عنه مرفوعًا** أي إلى النَّبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم: ((**العبادةُ في الهَرْج كهجرةٍ إليّ**)) ؛ الحديث الّذي قبله –حديث أبي هريرة– العبادة قبل الهَرْج ، يعني قبل أن تقع الفتن بادِر في العبادة وأقبِل عليها واستكثِر منها، ومَن وُفِّق للعبادة وقت العافية، فإنَّ هذا سيكون له معونةً بإذن الله سبحانه وتعالى للمحافظة على العبادة وقت الفتنة، ومَن كان مضيّعًا للعبادة في عافيته كيف تُقْبِل عليها نفسه وقت الفتنة؛ وهو في عافيته مفرِّطًا ومضيِّعًا؟! فالحديث الأوَّل فيه الحثّ على المبادرة للعبادة قبل أن تقع الفتن وأن يستكثر منها العبد حتى تتمرَّن عليها نفسه ويُقبل عليها قلبه وتكون معه حتى في أضيق الأمور. والنَّفس إذا أَلِفَت العبادة واعتادت عليها حتى في الشَّدائد ما تتخلَّى عنها، ولهذا علي بن أبي طالب لما ذكر الدُّعاء الّذي علَّمه النَّبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم فاطمة أن تقوله، قال: ((خير لك من خادم: تسبِّحين الله عند النَّوم ثلاثًا وثلاثين، وتحمدينه ثلاثًا وثلاثين، وتكبِّرينه ثلاثًا وثلاثين)) قال علي: «فما تركته ليلة منذ سمعته من النّبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم»،

فأحد الحاضرين قال له: ولا ليلة صفِّين؟ قال: «ولا ليلة صفِّين» . فالشَّاهد: أنَّ المبادرة إلى الأعمال قبل وقوع الفتن معونة للإنسان للمحافظةِ عليها عند وقوع الفتن.

وحديث معقِل فيه: الحثّ على الإقبال على العبادة وقت الفتن، قال: ((**العبادة في الهَرْج**))؛ والهَرْج: هو الفتن، واختلاط أمر النَّاس وما يترتَّب على ذلك من وجود لإراقة الدِّماء أو نحو ذلك من التَّعدِّيات، فالهَرْج هو الفتن؛ اختلاط أمر النَّاس، وعادةً إذا اختلط أمر النَّاس ومرَج تنصرف القلوب عن العبادة، ولهذا في الأماكن الّتي يجتمع النَّاس فيها على الفتن والعياذ بالله تجد حتى الصَّلوات الخمس يضيّعونها ويفرِّطون فيها، ومَن يصلِّي منهم الصَّلوات الخمس يصلّي بقلبٍ غافل ، ليس مُقبل على الصَّلاة وإنَّما مشغول بالفتنة ومنهمك في الفتنة، تجده يصلّي وقلبه مع الفتنة ، ليس مع الله في صلاته، وليس مُقبِلاً على الله في صلاته، وإنَّما يتحدَّث في الفتنة، وربَّما يصلّي ولا يدري كم صلَّى ولا يعقل من صلاته شيء ؛ لأنَّ القلب أصلاً منشغل في الفتنة.

فيقول: ((**العبادة في الهَرْج كهجرةٍ إليّ**))؛ كهجرة إلي : أي في الثّواب، ما أعظم ثواب مَن أكرمه الله سبحانه وتعالى بالهجرة إلى النّبيّ عليه الصَّلاة والسَّلام، وهذا الّذي يوفَّق للعبادة في الهَرْج ثوابه عند الله سبحانه وتعالى في إقباله على العبادة في الهَرْج كثواب الهجرة إلى النّبيّ الكريم صلوات الله وسلامه عليه؛ والموَفَّق مَن وفَّقه الله سبحانه وتعالى.

ولهذا ينبغي على الإنسان أن يعرف قيمة العبادة، وأنَّ أحوج ما يحتاج إليه الإنسان في الفتنة هو عبادة الله، مع أنَّ أكثر ما يُضيَّع في الفتنة عبادة الله. وجاء في الصَّحيح أنَّ النَّبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم قام ليلة قال: ((الله أكبر)) أو قال: ((سبحان الله! ماذا أنزل الله هذه اللَّيلة من الفتن، وماذا أنزل الله هذه اللَّيلة من الخزائن. مَن يوقظ صواحب الحجرات يصلِّين)) ؛ انظر ((مَن يوقظ صواحب الحجرات يصلِّين)) ؛ أي أنَّ الفتن لا بدّ أن يُقابلها الإنسان بالعبادة، بالصَّلاة، بالإقبال على الله، بالالتجاء إليه ، بالخضوع والضَّراعة بين يديه سبحانه وتعالى حتى تحلو ويُذهبها الله سبحانه وتعالى وتنكشف، لا أن يبرز لها ويتصدَّر وينشغل بها عن عبادة الله سبحانه وتعالى.

سبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد أن لا إله إلا أنت ، أستغفرك وأتوب إليك .

اللهم صلّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.